أخلاقنا كما كان يعيشها أسلافنا ـ الصدق والأمانة ـ أنموذجاً

د. سميرة خليفة عبدالله كيندل ــ كلية الآداب ـ جامعة الزاوية

الملخّص:

إن الإسلام دين له مبادئ سامية ، وقيم فاضلة ترفع من شأن إنسانية الإنسان، في كل لحظة من لحظات حياته سواء أكان ذلك في حدود ذاته المفردة أم في حدود جماعته الفردية ، من أسرة ووسط اجتماعي، أم في حدود الأمم المختلفة والبشرية كلها ؛ لأن إنسانية الإنسان وقيمة وفضائله لا تغيب لحظة عن أهداف الإسلام وحضارته، فهدف الإسلام تكوين إنسان رباني قوامه المظهر والصفاء والنقاء، وهذا لا يعنى تجاهل الجوانب المادية التي تدخل في تكوين الإنسان القوي الذي يسهم في تعمير الكون ، ودفع عجلة الحضارة على الدوام ؛ لكن هذه الجوانب المادية محكومة بضوابط خاصة في الإسلام أهمها الصدق والاعتدال والأمانة من أجل ذلك كانت رسالة الأنبياء الحثّ على الأخلاق الفاضلة ، وجاء القرآن الكريم مسُددًا على الاستمساك بها، لأنها هي التي تحقق الفوز بالنعيم الأخروي فهذا هو الطريق الأمثل إلى مجتمع يسوده الحب والإخاء، والوئام والسلام، مجتمع الفضيلة والعدالة والصدق والأمانة والتكافل والتعاون على الخير والبر فجميع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وهذا ما جاء به وحي السماء.

Summary

Islam, as a religion, has sublime principles and virtuous values that raise the status of man's humanity, at every moment of his life, whether that is within the limits of his individual self or within the limits of his individual group, of a family and a social milieu, or within the limits of various nations and all of humanity, because man's humanity and the value of Its virtues are not lost for a moment from the goals of Islam and its civilization.

The goal of Islam is to form a divine human being whose strength is appearance, serenity, and purity. This does not mean ignoring the material aspects that go into forming a strong human being who contributes to the reconstruction of the universe and the constant advancement of civilization. However, these material aspects are governed by special controls in Islam, the most important of which are honesty, moderation, and honesty in order to That was the message of the prophets to encourage virtuous morals, and the Holy Qur'an came urging adherence to them,

because they are what achieve the victory in the afterlife , and this is the best path to a society dominated by them.

Love and brotherhood, harmony and peace, a society of virtue, justice, honesty, honesty, solidarity, and cooperation in goodness and righteousness, all are like a solid structure that strengthens one another, and this is what was brought by the revelation of heaven.

المُقدمـــــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على يدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدّين.

وبعد فإنني أكتب هذه السطور وأنا أفكر صراحة أو استنتاجاً إلى ما وصل إليه حالنا هذه الأيام من انحلال اجتماعي ، واحتلال اقتصادي، وتفسخ أخلاقي من سرقة واختلاس...الخ. وتفكك في الأسر، وضياع للحقوق ، وتشرد للطفولة وموضوعات عربية تطرح للنقاش منها التسيب وعدم الانضباط ، أو فراغ التربية من الفكر الإسلامي، وغيرها ويجول بخاطري سؤال كيف انتشر الإسلام في جنوب شرق آسيا؟ وكيف انتشر الإسلام في أماكن عدة من افريقيا ؟

نعم انتشر الإسلام وأضاء وأنجب هؤلاء الأبطال الأفذاذ لقد انتشر فيها عن طريق أخلاقنا كما كان يعيشها أسلافنا ، وكانت أخلاقنا هي العلاج لكل المفاسد التي كانت تملأ هذه البلاد آنذاك ، تماماً كما أن أخلاقنا هي العلاج لكل هذه المفاسد ، ويتبادر لذهني هذه الأسئلة عبر ما درسته لطلابي بمرحلة الليسانس الأخلاق الفلسفية.

هل القضايا التي يبحثها فلاسفة الأخلاق تغيرت عبر التاريخ ؟ وهل المسائل التي كان يبحثها فلاسفة اليونان الأخلاقيون هي نفسها المسائل التي يبحثها فلاسفة الأخلاق المعاصرون ؟ وهل اتفق فلاسفة الأخلاق حتى الآن على (مقياس أخلاقي) يزنون به الأخلاق ؟ فليس هناك سبيل إلى اليقين الأخلاقي ، كتب الفلاسفة الأخلاقية مؤلفات خاصة للبشر أو للناشر؟ ما أكثر ما يصعب المعنى وما أكثر ما يغمض المراد كل ما عرضته سالفاً دفعني إلى أن أجد نفسي أبحث في مجال الأخلاق لعليّ أجد ما يقنع عقلي ويرضى قلبي ، وتبادر إلى ذهني السؤال التالي : هل الأعراف أو العرف هو المنبع أو المقياس الأخلاقي أو بمعنى العرف مصدراً صحيحاً للأخلاق للسلوك البشري؟

فتوجهت إلى المصادر التي أدين بصحتها، وهي ذلك الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهذه السُنة التي لا ينطق صاحبها عن الهوى - صلى الله

عليه وسلم - فوجدت في القرآن الكريم وآياته الأخلاقية والسنة المطهرة الثمار الأخلاقية والقطوف الدانية من الأزهار السلوكية كلها تتجمع في أخلاقنا العملية وفق ما جاء في القرآن الكريم، من قوله – تعالى - : **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ)** [سورة النحل، 90-91] .

أهـــداف البحث :

ويهدف هذا البحث إلى بيان الآتي :

ـــ إن البحث في مجال الأخلاق من خلال كتاب الله - عز وجل- قواعد ثابتة وصالحة لكل زمان ومكان ، ويستمد هذا البحث أهميته من تطبيق القرآن الكريم وآياته الأخلاقية على الواقع المعاش.

- بيان أن أخلاقنا الإسلامية هي علاج لكل المفاسد التي كانت تملأ البلاد.

والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التحليلي والوصفي الذي يسعى إلى عرض الفكرة السليمة والصحيحة والسائرة في مجتمع القرآن الكريم شريعته واتباع مبادئ وقيم الإسلام الحنيفة.

خطـــــــة البحث :

وقد قسم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ، جاء المبحث الأول تحت عنوان: الإسلام منبع أخلاقنا ، والمبحث الثاني : معنى الخلق والتخلق ، وكان المبحث الثالث: الصدق والأمانة في القرآن الكريم.

المبحث الأول ـ الخلق والتخلق:

تعريف الخـــق:

1- **المعنى اللغـــــــوي:** يقول صاحب مختار الصحاح الخلق بسكون اللام وضمها: السحبه ، ويقول الفيروز آبادي في (القاموس المحيط) الخلق بالضم وبضمتين: السجية: والطبع؛ والمروءة، والدين[1] ، ويقول في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: بصيرة في الخلق، وهو التقدير، وقيل التقدير المستقيم، ويستعمل في إيداع الشيء من غير أصل ولا اهتداء[2]، قال- تعالى - : **(خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى)*** . أي : ايدعهما بدلالة قوله : **(بديع السموت والأرض)** ، ويستعمل في إيجاد الشيء من الشيء، قال – تعالى- : **(خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ)*** ، وليس الخلق بمعنى : الإيداع إلا لله – تعالى- ، ولهذا قال - تعالى - في الفصل بينه وبين غيره: **(أَفَمَن يَخْلُقُ**

كَمَن لاَّ يَخْلُقُ)[3]، وأما الذي يكون بالاستحالة ، فقد جعله الله لغيره في بعض الأحوال، كعيسى عليه السلام، حيث قال: **(وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ)** ، والخلق لا يستعمل في جميع الناس إلا على وجهين أحدهما – في معنى التقدير.

والثاني – في الكذب نحو قوله – تعالى - : **(وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً)**، وكل موضع استعمل فيه الخُلق في وصف الكلام[4]. فالمراد به الكذب... ، والخَلق والخُلق في الأصل واحد كالشرب والشرب ولكن خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصرة. قال تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)*** قال ابن عباس- رضى الله عنه- : لعلى دين عظيم ، لا دين أحب إلي ، ولا أرض عندي منه ، وهو دين الإسلام[5]، وقال الحسن: هو أدب القرآن ، وقال قتادة : هو ما كان يأتمر به من أمر الله ، وينتهي عنه من نهى الله ، والمعنى : إنك لعلى الخلق الذي آثرك الله به في القرآن. ، وفي الصحيحين: أن هشام بن حكيم سأل عائشة - رضى الله عنها - عن خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان خلقه القرآن ، وأعلم أن الدين كله خلق " فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين"[6]. وقيل: حسن الخلق: بذل الندى، وكف الأذى. وقيل: فك الكف، وكف الفك. وقيل: بدل الجميل، وكف القبيح. وقيل: التخلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل[7].

وقد وردت كلمة (خلق) في القرآن الكريم في موقعين:

الموضع الأول : وهو ما ذكره (الفيروز آبادي) وهو قوله تعالى لنبيه محمد- صلى الله عليه وسلم - : **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)** ، وقد ذكر الرازي في تفسيره لهذه الآية كلاً ما طيب حيث قال : "ولما كانت أخلاقه - عليه الصلاة والسلام - الحميدة كاملة، لا حرم وصفها الله بأنها عظيمة ولهذا قال : قل لا أسالكم عليه أجراً ، وما أنا من المتكلمين" ، أي : لست متكلفاً فيما يظهر لكم من أخلاقي ، لأن المتكلف لا يدوم أمره طويلاً " يل يرجع إلى الطبع[8] ، وقال آخرون: إنما وصف خُلقه بأنه عظيم، وذلك لأنه - تعالى - قال له : **(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)** ، وهذا الهدى الذي أمر الله تعالى محمداً - عليه الصلاة والسلام - بالاقتداء به ليس هو معرفة الله، لأن ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول - صلى الله عليه وسلم - [9].

الموضع الثاني : في قصة هود- عليه السلام - عندما دعا قومه إلى عبادة الله وحده، وكان جوابهم : **(قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الوَاعِظِينَ، إِنْ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ)**، ومعنى خلق الأولين، أي : عاداتهم، أي: ما هذا

الذي نحن عليه من الدّين إلا خلق الأولين، وعاداتهم[10]، و كانوا به يدينون ، ونحن بهم مقتدون، والخلاصة أن الخلق في اللغة يطلق على : الطبع والسجية والمروءة والدين والعادة[11].

المعنى الاصطلاحي : عرف ابن مسكويه * الخلق بأنه : النفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رؤية ، وهذه الحالة تنقسم إلى قسمين منها ما يكون طبعياً من أصل المزاج... ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب ، وربما كان مبدؤه بالرؤية والفكر، ثم سيتم عليه أولاً فأولا، حتى يصير خلقاً [12] ، وعرفه الغزالي*: بأنه "عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر ورؤية ، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً، سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً ، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً[13].

ونفهم من هذين التعريفين أموراً منها:

الخلق حال النفس أو هيئة النفس، أي : أنه صفة للجانب النفسي من الإنسان، كما أن الخَلق بفتح الخاء – صفة للجانب الجدي منها[14]، وهذه الصفة النفسية لا بد أن تكون راسخة ، أي : ثابتة غير عارضة فهي تمثل عادة لصاحبها تتكرر كلما حنت فرصتها، فالبخيل الذي يتصدق مرة في حياته لا يعتبر كريماً[15]، فالخلق إذن منه ما هو طبيعي، أي : فطري يولد الإنسان مزوداً به ، كالحلم ، والحب، والحياء ، كما ورد في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنُ الطَّبَّاعِ، حَدَّثَنَا مَطَرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْنَقُ، حَدَّثَتْنِي أُمُّ أَبَانَ بِنْتُ الْوَازِعِ بْنِ زَارِعٍ، عَنْ جِدِّهَا، زَارِعٍ وَكَانَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ قَالَ: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَجَعَلْنَا نَتَبَادَرُ مِنْ رَوَاحِلِنَا، فَنُقَبِّلُ يَدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَرِجْلَهُ، قَالَ: وَانْتَظَرَ الْمُنْذِرُ الْأَشَجُّ حَتَّى أَتَى عَيْبَتَهُ فَلَبِسَ ثَوْبَيْهِ ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ لَهُ: «**إِنَّ فِيكَ خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ ، الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ** » **قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمِ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا» قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ "**[16] ، ومن الخلق ما هو مكتسب، ينشأ من التعود والتدريب والبيئة، كالجبن والشجاعة.

ولفظ الخُلق يطلق على المحمود ، وعلى المذموم، ولذلك يحتاج إلى التحديد والتقيد، فيقال: خلق محمود أو خلق مذموم ، والخلق تسبقه عمليات نفسية يكون هو الخطوة الأخيرة لها وبيان ذلك: أول ما يرد على قلب الإنسان الخاطر، وهو حديث النفس، ونفس الإنسان تحدثه بأمور كثيرة، قد يميل إلى أحد[17]، فالميل : هو توجيه الإنسان لخاطره من خواطره يتصوّر، والرغبة : هي تغلب ميل على بقية الميول

الموجودة في النفس ، وأما الإرادة فهي صفة النفس التي تخصص رغبة من الرغبات التي مالت إليها النفس لكي تتحقق وتوجد فإذا ما تكررت الإرادة صارت عادة ، فالعادة : هي الإرادة التي تتكرر وتصدر على حالة راسخة هي الخلق[18] ، فهذه هي مراحل تكوّن الخلق : الخاطر، فالميل ، فالرغبة ، فالإرادة ، فالعادة.

المبحث الثاني ـ الصدق والأمانـــة:

ما أحوجنا اليوم إلى هاتين الكلمتين لحماية أخلاقنا من التلف في عصر التكنولوجيا السريع الصدق إخبار الإنسان بما يعتقد أنه الحق ، ويشمل الأخبار كل ما يفهم المقصود سواء كان بالكلام أو بالعمل ، كالكتابة والإشارة، وعكس الصدق الكذب، وهو إخبار الإنسان بما يعتقد أنه غير الحق ، ويشمل الأخبار الصمت الذي يغير الحقيقة ، أو يخفيها، ويشمل حذف بعض الحقيقة، إذا كان لما حذف تأثير فيما ذكر فكل من الصمت والحذف يعتبر كذبًا [19] ، وقد اعتبر القرآن الكريم قول المنافقين لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - **(نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ كذبًا)** فقال الله - عزوجل - : **(وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)*** ، وذلك لأنه إخبار بما لا يعتقدون صدقه[20] ، قال - صاحب البصائر في ذوى التمييز - : والصدق : مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً ، ومتى انخرم شرط من ذلك لا يكون صدقاً تاماً، بل إما ألا يوصف بالصدق ، وإما أن يوصف تارة بالصدق وتارة بالكذب ، على نظر من مختلفين : كقول الكافر من غير اعتقاد : محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فإنه يصح أن يقال: صدق ليكون المخبر عنه كذلك [21]، ويصح أن يقال: كذب بمخالفه قوله ضميره ، وبالوجه الثاني إكذاب الله - تعالى - المنافقين حيث قالوا: إنك لرسول الله فقال في سورة المنافقون : **(وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)** ، هذا ما قاله صاحب البصائر، وهو كلام له وجاهته [22].

الصدق في القرآن الكريم: وردت مادة الصدق في القرآن الكريم في كتاب الله - عز وجل - حوالى 130 مرة ، فقد أمر الله به المؤمنين، فقال: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)*** ، وأخبر أنه سياسهم عنه ، فقال: **(لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ)*** وأنه سيجازيهم عليه ويحدث عن يوم القيامة فقال: **(هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً)***[23] ، ووصف أنبياءه – عليهم السلام – بالصدق فقال : **(وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِياً)***[24] ، وقال - تعالى- : **(وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِياً)*** وقال - سبحانه وتعالى- : **(وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ**

وَكَانَ رَسُـولاً نَّبِياً)* ويكفي الصـدق عظمة أن الله - جل في علاه- وصـف به نفسـه المقدسة ، فقال: **(وَمَنْ أَصْـــــدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثاً)***، وقال – تعالى - : **(وَعْدَ اللَّهِ حَقاً وَمَنْ أَصْـدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً)** * وقال : **(ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَـادِقُونَ)**، أما مادة الكذب فقد وردت في القرآن 282 مرة ، يتبين من خلالها أن الكذب إثم مبين ، قال – تعالى- : **(انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُّبِيناً)**، وأنه من علامات النفاق[25]، وقال – سبحانه- : **(وَاللَّهُ يَشْـهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ)*** ، وأن الله لا يهدى الكاذب ، وأنـه لا يفلح. قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ)** ، والكذب لا يجتمع مع الإيمان : **(إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ)** ، وجزاء الكذابين النار والعذاب : **(لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ)**، **(وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ يَوْمَ القِيَامَةِ)**[26]، **(وَيَوْمَ القِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ)***.

صـدقه - عليه الصـلاة والسـلام - : لم تجد السـيدة خديجة – رضـى الله عنها – ما يطمئن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ويذهب خوفه عقب لقاء جبريل أول مرة إلا إنصـافه بالفضـائل التي من أهمها الصـدق فقالت له : **" كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ"** [27] ، واجتمعت قريش على صدقه – عليه السلام والسلام – فعن ابن العباس – رضـى الله عنهما – قال: لما نزلت **(وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)** ، صَعِدَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: « **يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ:** « **أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: « فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ)** [28] [29].

الترغيب في الصـدق : لقد كان رسـول الله صـادقاً، وحث اتباعه على هذا الخلق العظيم وهذه بعض أحاديثه الشـريفة:، وعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ -صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- : «**عَلَيْكُمْ بِالصِّـدْقِ، فَإِنَّ الصِّـدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْـدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّـدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِـدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا** [30] وعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ

اللَّهِ - صَـلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ- : " **آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ** "

ثانياً: الأمانـــــــة: الأمانة كل ما يجب على المسلم أن يحفظه ، ويصونه، ويؤده إنها شعور المسلم بمسؤوليته عن كل ما يؤكل إليه ، وبذله الجهد في تأديته على النحو الذي يرضـــاه الله - جل في علاه- ولعل هذا بعض ما يفهم من حديث رســـول الله - عليه الصلاة والسلام- :[31] ، عنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى مَالِ زَوْجِهَا، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ** [32].

الأمانة في القرآن الكريـــــم : نكرر ذكر الأمانة في القرآن الكريم، ومن الآيات التي ورد فيها ذكرها: قوله تعالى: **(وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَـفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِباً فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَـةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُـكُم بَعْضـاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ)*** البقرة 283 والآية في الرهن، فالشـــي المرهون أمانـة[33] ، وقولـه –تعالى- : **(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)***، والآية نزلت لما أخذ علي- رضـــى الله عنه – مفتاح الكعبة من (عثمان بن طلحة) سـادتها قسـراً، لما قدم النبي عليه الصـلاة والسـلام مكة عام الفتح، فأمره الرسول - صلى الله عليه وسلم - يرده إليه ، وقوله – تعالى- : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُـولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)*** ، وهذه الآية شـاملة لجميع أنواع الأمانات[34].

أمانته - عليه الصلاة والسلام - : لقد اشتهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالأمانة ، حتى عرف بالأمين وحرص الرسـول - عليه السـلام - على أداء الأمانة في أصـعب الأوقات، وأحلك الساعات، فعند خروجه من بيته مهاجراً إلى المدينة قال " لعلي بن أبي طالب : نم على فراشـي، وأتشح ببردى الأخضـر، فنم فيه، فإنه لا يخلص إليك شـــيء تكرهه ، وأمره أن يؤدي ما عنده من وديعة وأمانة وغير ذلك[35] ، وكانت أمانته سبباً في زواجه بالسيدة خديجة - رضى الله عنها – يقول ابن الأثير: فلما بلغها – أي خديجة – عن رسـول الله- صـلى الله عليه وسـلم - صـدق الحديث ، وعظيم الأمانة وكرم الأخلاق، أرسلت إليه ليخرج في مالها إلى الشام تاجراً فأجابها، ولما عاد إلى مكة وقص عليها مسيرة غلامها أخبار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سلم قررت الزواج به ، وقد أدّى رسـول- صـلى الله عليه وسـلم - الأمانة الكبرى، وهي الرســالة الأعظم ما يكون منها من الأداء، وتحمل في سـبيلها أشـق ما يحتمله بشـر ،

وكان عليه الصلاة والسلام يكره الخيانة حتى إنه كان يستعيد بالله منها فعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُـــــــوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ، فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ**" (36) ، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أميناً وحثّ أتباعه على هذا الحق العظيم فقال لهـم : " **لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ , وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا طُهُورَ لَهُ , وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا صَـــلَاةَ لَـهُ , إِنَّمَا مَوْضِـــعُ الصَّـــلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوْضِـــعِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ**"(37).

الخاتمـــة:

اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت؛ وأصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك أنا بك وإليك، تباركت ربنا وتعاليت أستغفر بالله وأتوب إليك. اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خُلقي ربط ديننا الإسلامي الحنيف والكريم بين جانب من العقيدة التي ارتضاها لاتباعه ربطاً وثيقاً، ولذلك يبدوا واضحاً من خلال ما عرفناه في سياق البحث من خلال ما عرضناه من سور قرآنية وأحاديث نبوية من السنة النبوية المطهرة، فإن مقتضى للإيمان بالله تعالى أن يكون المؤمن ذا خلق حميد ومحمود، وإن للأخلاق السيئة دليل على عدم وجود الإيمان أو دليل على ضعفه، وعلى ذلك يمكننا أن تعرف مدى إيمان الشخص بمقدار ما يتجلى، به من مكارم الأخلاق، وتعرف مدى ضعف إيمانه بمقدار ما يتصف به من ذميم الأخلاق.

ومما لاشك فيه أن الأخـــلاق هي الدعامة الأولى في حفظ كيان الأمم، ولهذا نرى الباحثين والفلاسفة قد اتفقت كلمتهم على ضرورتها للفرد لصالح نفسه وللمجتمع في جملته، فكما أن الفرد بغيره ويغســل من أعماله أن يكون كاذبًا مرائياً شـــريراً ماكراً، كذلك تفسر المجتمعات بشيوع هذه الصفات في آحادها.

لهذا أول ما توجهت إليه عناية الفلاسفة والمشرعين العاملين على إنهاض الجماعات البشرية – الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة ؛ لأنها دائماً الدعامة الأولى في بناء كل مجتمع سليم ولم يبالغ أحد في أن الأخـــــــــلاق أساس كل مجتمع ، من أجل ذلك كان رسالة الأنبياء الحث على الأخلاق الفاضلة ، وجاء القرآن مشدداً على الاستمساك بها ؛ لأنها هي التي تحقق الفوز بالنعيم الأخروي ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامـــــــــش :

القرآن الكريم.
الاتحافات السنية بالأحاديث النبوية، للمناوي، المكتبة المنيرية، القاهرة، ص25-60.
(1) عبدالرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج2، 1984م، ص27.
(2) الفيروز آبادي، بصـــائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المكتبة العلمية، بيروت، ج2، ص566.
* سورة طه، آية 4.
* سورة النساء، آية 1.
(3) عبدالمنعم الحنفي، المعجم الفلسفي، القاهرة، الدار الشرقية، ط1، 1991م، ص53.
(4) الجرجاني: التعريفات، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1991م، ص68.
* سورة القلم، آية 14.
(5) المرجع السابق، ص568.
(6) المرجع السابق، ص37.
(7) أبوبكر الرازي، مختار الصحاح، المطبعة الأميرية، القاهرة، ص183.
(8) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، مطبعة مصطفي محمد، ج4، ص402.
(9) المرجع السابق، ص413.
(10) المرجع السابق، ص188.
(11) العزابي، احياء علوم الدين، دار الشعب، ج2، بيرت، 1432.
* الغزالي ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي حجة الإسلام المولود سنة 450هـــ - المتوفى سنة 505هـ صاحب المؤلفات المختلفة والكثيرة، منها كتاب إحياء علوم الدين.
(12) ابن مكسويه : تهذيب الأخلاق وتصهير الأعراف، طبعه صبيح، ص231.
* هو ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب المعروف بابن مســكويه المتوفى 421هـــــ أحد فلاســفة الأخلاق الإسلاميين الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية.
(13) المرجع السابق، ج2، ص1434.
(14) البخاري: في الأدب المفرد، الكليات الأزهرية، القاهرة، ج2، ص42.
(15) ابي بكر ذكرى: تاريخ النظريات الأخلاقية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، ص65.
(16) رواه أبو داود في سننه ، باب : في قبلة الرجل ، رقـم الحديث : 5225.
(17) محمد عبدالله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، القاهرة، ط1، ص140.
(18) منصور علي رجب: تأملات في فلسفة الأخلاق، الانجلو المصرية، القاهرة، ط1، ص88-89.
(19) احمد الحوفي: من أخلاق النبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط1، ص148.
* سورة المنافقون، الآية 15.
(20) المرجع السابق، ص149.
(21) المرجع السابق، ص16.
(22) المرجع السابق، ص567.
* سورة التوبة، الآية 119.
* سورة الأحزاب، آية 8.
* سورة المائدة، آية 119.

(23) عفيف عبدالفتاح طبارة: روح الدين الإسلامي، دار العلم للملايين، بيروت، ط24، ص253.
* سورة النساء، آية 87.
(24) المرجع السابق، ص355.
* سورة المائدة، آية 119.
* سورة مريم، آية 41.
* سورة مرية، آية 50.
* سورة مرية، آية 54، 56.
(25) المرجع السابق، ص356.
* سورة النساء، آية 122.
(26) المرجع السابق، ص256.
* سورة الزمر، آية 60.
(27) رواه البخاري في صحيحه ، باب : كيف كان بدء الوحي ..، رقم الحديث : 3
(28) المرجع السابق، ص37.
(29) المرجع السابق، ص39.
(30) المرجع السابق، ص45.
(31) عبدالحليم محمود: الإسلام والإيمان، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م، ص87.
(32) محمد ربيع جوري، أخلاقنا، دار الطباعة المحمدية الأزهر، القاهرة، ط1، 1985م، ص243.
* سورة البقرة، آية 283.
(33) المرجع السابق، ص244.
* سورة النساء، الآية 57.
* سورة الأنفال، آية 27.
(34) المرجع السابق، ص246.
(35) المرجع السابق، ص247.
(36) المرجع السابق، ص249.
37) رواه الطبراني في معجمه الصغير ،1/ 113 رقم الحديث : 162